تفسير الكتاب المقدّس

رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل روميه

الإصحاح الثّامن

الأب إبراهيم سعد

٢٠١٦/٢/٢٣

"إذًا لا شيء من الدّينونة الآن على الّذين هم في المسيح يسوع، السّالكين ليس حسب الجسد بل حسب الرّوح، لأنّ ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيئة والموت، لأنّه ما كان النّاموس عاجزًا عنه، في ما كان ضعيفًا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة، ولأجل الخطيئة، دان الخطيئة في الجسد، لكي يتمّ حكم النّاموس فينا، نحن السّالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح، فإنّ الّذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمّون، ولكن الّذين حسب الرّوح فبما للرّوح، لأنّ اهتمام الجسد هو موت، ولكنّ اهتمام الرّوح هو حياة وسلام، لأنّ اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله، لأنّه أيضًا لا يستطيع، فالّذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله، وأمّا أنتم فلستم في الجسد بل في الرّوح، إن كان روح الله ساكنًا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له، وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطيئة، وأما الرّوح فحياة بسبب البرّ، وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه السّاكن فيكم، فإذًا أيّها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد، لأنّه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون، لأنّ كلّ الّذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبوديّة أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التّبني الّذي به نصرخ: يا أبا الآب، الرّوح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أنّنا أولاد الله. فإن كنّا أولادًا فإنّنا ورثة أيضًا، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنّا نتألّم معه لكي نتمجّد أيضًا معه، فإنّي أحسب أن آلام الزّمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا، لأنّ انتظار الخليقة يتوقّع استعلان أبناء الله، إذ أخضعت الخليقة للباطل–ليس طوعًا، بل من أجل الّذي أخضعها –على الرّجاء، لأنّ الخليقة نفسها أيضًا ستعتق من عبوديّة الفساد إلى حريّة مجد أولاد الله. فإنّنا نعلم أنّ كلّ الخليقة تئنّ وتتمخّض معًا إلى الآن، وليس هكذا فقط، بل نحن الّذين

لنا باكورة الرّوح، نحن أنفسنا أيضًا نئنّ في أنفسنا، متوقّعين التّبنّي فداء أجسادنا، لأنّنا بالرّجاء خلّصنا. ولكنّ الرّجاء المنظور ليس رجاءً، لأنّ ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضًا، ولكن إن كنّا نرجو ما لسنا ننظره فإنّنا نتوقّعه بالصبر، وكذلك الرّوح أيضًا يعين ضعفاتنا، لأنّنا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي. ولكنّ الرّوح نفسه يشفع فينا بأنّات لا ينطق بها، ولكنّ الّذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الرّوح، لأنّه بحسب مشيئة الله يشفع في القدّيسين، ونحن نعلم أنّ كلّ الأشياء تعمل معًا للخير للّذين يحبّون الله، الّذين هم مدعوّون حسب قصده، لأنّ الّذين سبق فعرّفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين، والّذين سبق فعيّنهم، فهؤلاء دعاهم أيضًا. والّذين دعاهم، فهؤلاء برّرهم أيضًا. والّذين برّرهم، فهؤلاء مجدّهم أيضًا. فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا، فمن علينا؟ الّذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء؟ من سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الّذي يبرّر، من هو الّذي يدين؟ المسيح هو الّذي مات، بل بالحري قام أيضًا، الذي هو أيضا عن يمين الله، الّذي أيضًا يشفع فينا. من سيفصلنا عن محبّة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب: إنّنا من أجلك نمات كلّ النهار. قد حسبنا مثل غنم للّذبح، ولكنّنا في هذه جميعها يُعظَّم انتصارنا بالّذي أحبّنا، فإنّي متيقّن أنّه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علوّ ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله الّتي في المسيح يسوع ربّنا."

إنّ هذا الاصحاح هو أكثر الاصحاحات تعزيةً لنا وتقويةً لنا. في المقطع الأوّل، يضعنا القديس بولس أمام واقعٍ، أمام تحدٍ. أمّا في المقطع الثاني، فهو مليء بالتعزيّات الروحيّة، إنّه يتوّجه للذين قبلوا أن ينقادوا بروح الله، أي أن يسلكوا بحسب الرّوح. كلّ خوف الانسان هو من الدينونة. إنّ بولس يقول للذين يسلكون بحسب الرّوح، إنّه إن كنتم للمسيح، فأنتم لستم تحت دينونة. في النّصّ الاوّل لا يقوم بولس بمقارنةٍ بين جسدكم وروحكم إنّما بين الّذين يسلكون بحسب الروح القدس وطاعته، وبين الّذين يسلكون بحسب الجسد أي بحسب هذا العالم ومشيئته، فمشيئة هذا العالم بعيدةٌ عن طاعة الرّوح. فالمقارنة إذًا ليست بين روحكم وجسدكم، إنّما بين سلوك الانسان الّذي هو وفق نهج هذا العالم ولغته. إليكم مثلاً لغة هذا العالم تقول: "إن لم تكن ذئبًا أكلتكَ الذئابُ"، أمّا بحسب الرّوح، فهي ليست كذلك. بحسب الجسد، "عامل النّاس كما يعاملونك" أمّا بحسب الرّوح ولغته فيقول "عامل النّاس كما تحبّ أن يعاملوك"، والفرق بينهما كبير جدًّا. إذًا لغة الجسد أي لغة العالم هي لغة إلغائية للآخر الّذي لا ينسجم أفكاره مع أفكارك، وتصرّفاته مع تصرّفاتك، وبالتّالي بحسب لغة العالم يجب إلغاءه. نحن نعيش اليوم في عالم يسود فيه منطق الجسد أي منطق الشيطان والشّر. وهذا الشّر، بحسب لغة الانجيل، هو من اختراع الانسان وإبداعه، إنّه نتيجة قرار الانسان بأن يسير حسب لغة الأرض. أمّا الّذين يسيرون بحسب الرّوح فناموسهم هو ناموس الرّوح لا الحرف. ولما أصبح النّاموس عاجزًا عن إعطاء

الخلاص، قرّر الله أن يرسل ابنه ليصير في شبه جسد الخطيئة أي أنّه شابهنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة: لقد شاركنا يسوع في كلّ شيء، في اللحم والدّم والعظام ما عدا الخطيئة، ومشاركته لنا هي مشاركة حقيقيّة، لأنّه "ما لم يُتَخَذ، لا يُخَلَّص" أي أنّ أيَّ شيءٍ لم يتّخذه يسوع من بشريتنا، فهو لم يُخَلَّص. فإنّ يسوع، أخذ الجسد البشري وكذلك الرّوح الانسانيّة.

يعطي بولس هذه المقارنة بين الّذين يسلكون بالرّوح والذّين لا يسلكون بالرّوح، والسلوك بحسب الرّوح لا تتمتّع بحالةٍ مزاجيّة، بل هي انضباط، فعليكم أن تسلكوا بحسب الرّوح لتكونوا من أبناء الرّوح. هذا هو السّعي والجهاد، ولا يجب أن يُرافق اليأس والإحباط كلّ هذا، لأنّ رحمة الله ومحبّته تستر خطاياكم وضعفكم ومَيلَكُم للشّرّ. فالمحبّة تستر كمًّا من الخطايا. إذًا أنتم تسلكون بحسب الجسد أي تسمعون بأذنيْكم صوتًا مختلفًا عن صوت الله. كلّ صوت لا ينسجم مع صوت الله عليكم بطرده. فالميّت لا يريد سوى رضى الرّوح، وهذا الرّضى سترَونه في اليوم الأخير كاملاً، ولكنّكم ستتعزّون به من هذه اللّحظة، من الآن تشعرون بتعزيات الرّوح ولا تدركونها، تعيشونها ولكنّها لا تتمتّع بقانونٍ معروف، بل هي سرّ. وإن كان روح الله الّذي أقام يسوع من بين الأموات ساكنًا فيكم، سيحيي أجسادكم المائتة.

إذًا أيّها الإخوة، أنتم لم تأخذوا روح العبوديّة للخوف والموت، بل أخذتم روح التّبنّي أي الرّوح القدس الّذي أعلن به الله تبنّيه لكم، وجعلكم أبناءه. لذلك تستطيعون أن تصرخوا بروح التّبنّي "أيّها الآب"، أصبحتم قادرين أن تصرخوا صرخة يسوع للآب بسبب تبنّي الله لكم بروحه. فيشهد الرّوح القدس لأرواحنا أيضًا أنّنا أولاد الله، كما شهد الرّوح القدس على يسوع أنّ صوت الآب الّذي دلّ بإصبعه قائلاً: **"هذا ابني الحبيب، به سررتُ"**، فالرّوح نفسه يشهد لأرواحنا أنّنا أولاد الله، لا تملكون نموًّا روحيًّا، لأنّكم تحصلون على كلّ شيء فتسقطون وتنهضون مئات المرّات، وتحسبون أنفسكم أنّكم في طور التّطوّر أمّا بالفعل أنتم ما زلتم في مكانكم، عمليًّا لا تجتهدون للحصول على شيء من الله، لأنّكم حاصلون على كلّ شيء، أنتم تجتهدون للحصول على رضى البشر بحجّة رضى الله، وهنا الوهم، لذلك تبقون متخبّطين وحزينين.

إن كنّا أولادًا لله فإنّنا ورثة أيضًا ووارثون مع المسيح. "أنا هو الباب، لا أحدًا يدخل إلّا بي"، لا يمكنكم القيام بعلاقة مع الله دون المسيح. يجعلك هذا تتألّم لتتمجّد معه. وأن تتألّم ليس بمعنى أن تتحمّل عذابات الجسد، فالربّ يسوع لم يتألّم من عذاب الجسد فقط، بل تألّم لأنّ النّاس لم تفهم حبّه. وأنتم أيضًا تتألّمون من عدم فهم الّذين تحبونهم لكم.

إذًا هدف الخليقة هو الانتظار على رجاء ما سيحلّ بها وما وُعِدَت به. كلّ الخليقة تئنّ وتتمخّض معًا حتّى الآن، وعلينا أن نأخذ العطيّة كما هي. الربّ يسوع المسيح هو باكورة القائمين من بين الأموات، لأنّه قام قبلنا لنتذوّق معنى القيامة، هذه القيامة هي من أجلنا وليست عنّا. إنّ عمل المسيح ليس تكفيرًا عن خطاياكم فقط، إنما قيامته من أجلنا،

نصرخ معًا "أبّا" أي أيّها الآب، ويحقّ لنا مجانيًّا قولها من الله، هي من دون استحقاق وعليكم أن تستعدّوا لها. الاستعداد لا يعني القيام بأفعالٍ قبل المناولة هو فقط قبولكم المناولة، أي أن أؤمن يا ربّ وأعترف أنّك أنت ابن الله الحيّ الّذي أتيت لأجلي، وأؤمن أنّ هذا هو جسدك الطّاهر ودمك، فبعد المناولة لا يمكنكم أن تتصرّفوا وكأنّكم لم تتناولوا، وهنا المسؤوليّة أكبر. فمشكلتنا الأساسيّة في القدّاس والمناولة هي بعدم فهم الإنسان لما يحصل، وحصل وسيحصل. رفعَكُم الله الآب بالمناولة إلى مستوى أولاده حقيقةً وليس مجازيًّا. يصبح الاستعداد إذًا من باب التّعبير وليس من باب القانون، فالقدّاس هو مائدة الله الّذي عليها نأكل الأكل الّذي لا نستحقّ أن نأكله بسبب خطايانا وشهواتنا.

انتبهوا من وهم الإيمان أو التّقوى أو الاستقواء، فالرّوح القدس يزرع فيكم الرّجاء لأنّكم أبناء الله، وهذا الرّجاء يزرع فيكم الصّبر. فكلّ من يقبل الإيمان بيسوع المسيح صار معينًا منه، فلكلّ منّا مهامه في الكنيسة، لذلك لا تقعوا بفخّ الطّبقيّة في الكنيسة، كما قال يسوع في الإنجيل: "**كنتَ أمينًا على القليل فسأجعلك أمينًا على الكثير**". فالّذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الرّوح، لأنّه حسب مشيئة الإله يشفع في القدّيسين. فنحن لا نملك سوى شفيعًا واحدًا وهو يسوع المسيح فقط. أمّا القدّيسون فهم شفعاء لنا لأنّهم ساروا في المسيح يسوع، لا يمكنكم طلب شفاعة أي قدّيس إن كان يسوع غائبًا عن قلبكم. فقد صنّف النّاس صورة الشّفاعة كالمسرح حيث يجلس القدّيسون في المقدّمة، لكنّ يسوع المسيح ألغى هذه الصّورة ورسم المسرح بطريقة مختلفة، جعله مستديرًا وهو في وسطها. فالشّفاعة تعني المعاضدة أي المساندة والتّعزية، فهم بجانبنا وليسوا أمامنا، يسوع المسيح هو الباب الوحيد للآب.

إنّكم تطلبون شفاعة القدّيسين لأنّهم اختبروا وعاشوا وسلكوا بحسب رضى الرّوح. فتستحضرونهم بصلواتكم ويكونون مثالاً بإيمانهم أمامكم وحبّهم ليسوع، لا يوجد وكيلٌ لله بل أنتم أيقونات لله، وهي مسؤولية وليست امتيازًا لكم. أعطى يسوع المسيح هذه المسؤوليّة للرّسل، فمن خلالهم يؤمن الشّعب أم يبكي على خطاياه بأيدٍ مُكبَّلة. هذا الرّوح الّذي يشفع فينا ويعين ضعفنا، لأنّنا نصلّي له كما ينبغي، فالرّوح نفسه يشفع فينا بأنّاة لا ينطق بها. لا تندموا على عمل خيرٍ قمتم به، ستحصل على رضى لنفسك وتحظى برضى الله، لا يمكنك الاستقالة من الأعمال الصّالحة التّي تَبَنَيتها كنهج حياة بسبب ردّة فعل الآخر. إن لم يتغيّر قريبك لا تجعله يغيّرك، من يقدر علينا إن كان الله معنا؟ يحاربكم لكنّه لا يتغلّب عليكم. "ثقوا أنا قد غلبت العالم"، فالله يشفع فينا ولا يديننا. فلا أحد يستطيع أن يفصلكم عن محبّة المسيح الّتي في المسيح يسوع.

ملاحظة: دوّنت المحاضرة من قبلنا بتصرّف.